

## المحاضرة الثانية/ المبحث الثاني: التاريخ

### أولاً: مفهوم ومعنى التاريخ:

إذا كان التاريخ، في ماهيته هو الاحداث والوقائع التي تقدمها لنا الوثائق والمصادر التي تعتبر شاهداً على عصرها، فان للمؤرخ عمله الخاص الذي يستلزم منه تحليل الوثائق وربطها ببعضها للوصول من خلالها الى حكم على هذا العصر، فهناك فارق أساسي بين التاريخ والمؤرخ فمؤرخ اليوم لا يمتلك مبررات الحكم على عصره لانه لازال شاهداً على هذا العصر، اما المعنى الاصطلاحي للتاريخ فقد ظهر وتطور منذ ان ابتدعت اللفظة اليونانية (Istoria) التي تعود في ظهورها الى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وقصد بها في البداية البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة وهو معنى عام جداً فالاشياء الجديرة بالمعرفة متعددة وكثيرة لذلك مع الوقت انحصر المعنى وصارت الكلمة دالة على نوع واحد من المعرفة وهي معرفة الاحداث التي وقعت في الماضي ورافقت تطور الأشياء والظواهر المختلفة وبذلك ولد التاريخ بمفهومه الشائع الذي استخدمه أوائل المؤرخين اليونان أمثال هيرودوت وثيوذوكيديس اللذين قصراه على تتبع الاحداث التاريخية التي صنعها الانسان في الازمان الماضية ومحاولة تمحيص هذه الاحداث وروايتها على نحو ما وقعت به فعلاً قدر الإمكان.

اما المقصود بفلسفة التاريخ كان يحلو للفيلسوف الإيطالي بندكتو كروتشه ان يقول ان كل من يحمل لقب مؤرخ هو فيلسوف سواء أراد ذلك ام لم يرده ومن الواضح ان كروتشه هنا لم يكون يقصد فقط التقريب بين المؤرخ والفيلسوف على اعتبار انه من الضروري للمؤرخ ان يمتلك تلك القدرة العقلية المماثلة لقدرة الفيلسوف على النظرة الكلية الشاملة للامور والاحداث وانما كان يقصد في الأساس ان كل مؤرخ يعبر عن ذاته من خلال تاريخه منذ ان يختار نوع الحدث الذي سيؤرخ له والمصادر التي يعتمد عليها.

١. التاريخ لغة: ويقصد به الوقت، فنقول (أرخ) الكتاب بيوم كذا و(ورخه) بيوم كذا. وعلى

هذا فقد ميز اللغويين بين مصطلحين في التاريخ هما:

أ- تاريخ بألف اللين (بدون همزة): يعني مسيرة حوادث الماضي البشري كما تدل على ذلك كلمة (history).

ب- تأريخ بالهمزة على الالف: عملية دراسة حوادث الماضي وتدوينها او العلم الذي يبحث بذلك الماضي وطرائق كتابته وتدوينه (Historiography). ومن هنا جاءت مهنة المؤرخ (Historian) أي العالم الذي يتخصص بدراسة التاريخ وطرق ومنهج تدوينه.

١. المعنى الاصطلاحي لكلمة تاريخ: عرف التاريخ اصطلاحاً تعريفات عدة من أهمها:

أ- عرفه ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) بأنه أخبار الايام والدول والسوابق من القرون الاولى في ظاهره، وباطنه نظر وتحقيق وتعليل في الكائنات دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق. وهو تعريف غاية في الأهمية ويدل على أن التاريخ عند ابن خلدون في احدى خصائصه لا يزيد عن أحوال الماضي واخباره وفي خصائصه الأخرى (نظر وتحقيق وتعليل) لتلك الاخبار والوقائع ويقصد بالنوع الاول: أخبار الماضي وهو المقصود من كلمة تاريخ، أما النوع الثاني فيجمع بين التأريخ كعلم وما يمارسه العالم أي المؤرخ من عمليات عقلية وذهنية في بحثه عن الحقيقة أي حقيقة ما جرى في الاحداث قيد البحث والدراسة والفلسفة التحليلية للتاريخ (نظر وتحقيق وتعليل) أي البحث عن العلية بصيغتها الجزئية أي الملزمة بالزمكانية ليست المطلقة التي تبحث عنها الفلسفة التأملية للتاريخ وهي التي تقع ضمن عمل الفلاسفة دون المؤرخين وهنا يكمن اس الصراع بين المؤرخين والفلاسفة في احقيتهم بفلسفة التاريخ، اذ أن دراسة التاريخ بحكمة وتأمل بعيداً عن العصبية والحكمة هي الفلسفة عن طريق استخدام الطرق العلمية والتعليل والتحليل والاستنتاج للحوادث التاريخية وهو ما يدخل ضمن اطار فلسفة العلوم ليس الفلسفة بمفهومها المطلق.

ب- عرفه كولنجود: أنه نوع من أنواع البحث العلمي، يستهدف الكشف عن حقيقة الاشياء التي تضمنتها جهود الانسان في الماضي لتقويمها.

ت- عرفه أحمد محمود صبحي: هو العلم الذي يستعان به لفهم التجربة الزمنية لبناء الامة.

٢. لأنه يتميز بمنهج استقرائي من خلال تحديد الظاهرة التاريخية المراد دراستها ومن ثم الحصول على احكام كلية تساعد على استشراف بالمستقبل، فأولى خطوات الطريق العلمي هو الشك وهو أيضاً أول مراتب اليقين، ولهذا قال الباحثون "أن شك المؤرخ رائد حكمته".

فالتاريخ علم من ناحية المنهج والعقلية التي يتميز بها المؤرخ شرط ان تقوده الى الوصول الى الحقيقة حقيقة ما جرى في الموضوع قيد البحث والدراسة وهي نسبية وليست مطلقة لأن دراسته لا توصلنا الى استخلاص قوانين يقينية ثابتة كالعلوم الأخرى مثل الكيمياء- الرياضيات... الخ اذن (فالتاريخ علم نقد وتحليل وليس تجربة واختبار).

### ثانيا: تطور معنى التاريخ عبر العصور:

أهتم الانسان بالتاريخ منذ ان ظهر الوعي المعرفي فعبّر عن هذا الوعي بالنقوش والرسوم ثم الكتابة التي تم اكتشافها على في بلاد وادي الرافدين منذ عهد السومريون عام (٣٣٠٠ ق.م) وبذلك يكون السومريون بلا منازع اول من الإنسانية الكتابة كتب ودون.

لم يعرف عرب الجزيرة العربية مصطلح التاريخ ولم يستعمل هذا المصطلح في صدر الاسلام ولا في القرآن الكريم او الحديث النبوي الشريف، مع أن المؤرخ السخاوي يأتي على ذكر حديث نبوي أن صح يمكن من خلاله ان تعثر على استعمال لكلمة تاريخ آنذاك التي تعني الاحداث الماضية التي مر بها الانسان في حياته: والحديث هو "من ورخ مؤمناً فكأنما احياه ومن قرأ تاريخه فكأنما رآه". وما سبق لا يعني عدم وجود وعي او اهتمام بالتاريخ في القرآن الكريم بل على العكس من ذلك هناك نسبة كبيرة جدا من آيات وسور القرآن تتحدث عن تاريخ الأمم القديمة والغابرة او التي اهلكها الله تعالى بهدف الموعظة او العبرة ولافادة من تجارب الأمم الأخرى ومنها ما جاء في سورة يوسف الاية ١١١ (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ) وفي سورة الحشر الاية ٢١ (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)، وهو ما يشير الى

ان الوعي التاريخي كان حاضرا، لكن لفظ كلمة التاريخ لم يرد صراحة دون اللفظ معروف عند العرب فهو يعني القصص الشفوية المعروفة بـ (أيام العرب) التي بها اخبارهم ووقائعهم الماضية.

كذلك كان عرب جنوب الجزيرة العربية وشمالها قد عرفوا التاريخ بمعنى التوقيت للاحداث اي ذكر احداث الماضي مع وقت وقوعها مستنديين الى التقويم الشمسي والقمري ودعاهم الى ذلك اسباب عدة منها تحديد اوقات الزراعة، تقلبات الجو، الاعياد والشعائر الدينية وطقوس العبادة والتجارة وحركتها في البر والبحر، وكانوا يقومون بتسجيل الحوادث على النقوش والكتابات لكنهم لم يصلوا الى مرحلة التأليف، عدا ما ذكره الطبري عن وجود كتب عند عرب الحيرة دونوا فيها تاريخهم واخبارهم وانسابهم وسير امرائهم، إلا أن العرب جميعهم بما فيهم عرب الشمال استندوا فيما استعملوه من تقاويم على وقائع عظمى يجعلونها بداية لزمان توقيت الحوادث كسنة موت قصي بن كلاب، عام الفيل، حرب الفجار... الخ.

أول استعمال للتاريخ عند المسلمين بمعنى التقويم والتوقيت كان في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عندما اتخذ من التاريخ الهجري وهجرة الرسول (ص) اساساً للتقويم وذلك سنة (١٧هـ)، لاسباب منها انه اراد معرفة مواعيد تقسيم اموال العطاء او ضبط اوقات المراسلات بين الخليفة والولاة في الامصار ولأن هذا الأمر موجود في الولايات التي فتحت وكتب ومراسلات الولاة الى الخليفة تضمنت التاريخ والوقت الذي ارسل فيه الرسالة بحسب ما متعارف عليه في ولاياتهم وهذا يعني التقويم جاء نتيجة لتفاعل الاسلام مع الحضارات والثقافات الاخرى.

الى جانب استخدام العرب للتاريخ كمعنى دون اللفظ به فقد استعملوا كلمات بمعنى ارخ قبل ان تحل محلها كلمة تاريخ ككلمة (عد) التي تعني التوقيت والتقويم. وكلمة "اخبار" اي تسجيل الاحداث على اساس الزمن وهي عملية يقوم بها الاخباري، ولكن منذ منتصف القرن الاول الهجري بدأت كلمة تاريخ تحل محل أخبار واصبحت تعني تدوين حوادث الماضي وحفظ الاخبار بشكل متسلسل متصل الزمن والموضوع، وظهر أول مؤلف يحمل عنوان تاريخ في العصر الاسلامي وهو كتاب التاريخ لعنوانه بن الحكم الكوفي (ت ١٤٧هـ) تناول فيه حوادث الاسلام في القرن الاول الهجري. وفي القرن الثاني الهجري توسعت مدلولات كلمة تاريخ لتشمل كتب التاريخ،

وفي القرن الثالث الهجري اشتملت على الماضي وحوادثه واخباره واخبار الرجال والعلم الذي يوصل الى ذلك والكتب التي تضمنته فحلت هذه الكلمة محل الخبر والاخبار حتى اختفت هذه الكلمة في القرن الرابع الهجري.

وجدت محاولات لتأصيل كلمة تاريخ في اللغات الاوربية القديمة في العصر الحديث وأهتم بهذه المحاولات الباحثين في التاريخ العربي الاسلامي من المستشرقين امثال (هملتون جب) الذي اكد خطأ كل من البيروني في كتابه (الاثار الباقية) والخوارزمي في كتابه (مفاتيح العلوم) قولهما ان كلمة تاريخ معربة عن الاصل الفارسي (ماه روز) اي الشهر، ولاحظ (جب) الاصل السامي لكلمة تاريخ في كلمة عبرية هي (يارخ) او (يرخ) أي الشهر.

أما حسين نصار فيرجح الابعاد السامية العربية لكلمة (يارخ) في ضوء الاصل العربي المشترك بين اللغات السامية التي تعني القمر، الذي يحدد به العرب شهورهم وتاريخهم دون الاعتماد على الشمس، وعلى الليالي دون الايام وهو معروف بالتاريخ الهجري.

أن هذا الاختلاف في مدلولات التاريخ بين المفكرين جعل الدكتور نوري جعفر يقسم هؤلاء المختلفين وتفسيراتهم لمدلولات التاريخ الى أربعة أقسام او اتجاهات.

١. الاتجاه الأول: يرى أن التاريخ يدل على جميع الوقائع الطبيعية والاجتماعية في الكون منذ نشأته وحتى الوقت الحاضر.

٢. الاتجاه الثاني: ويرى ان كلمة تاريخ تدل على ما استطاع الانسان ان يعرفه من حوادث وقعت في الماضي في الطبيعة والمجتمع.

٣. الاتجاه الثالث: يعرفه أنه الاثار التي يتركها وقوع الحوادث على الطبيعة والمجتمع.

٤. الاتجاه الرابع: يدل على جميع الحوادث التي وقعت نتيجة النشاط الانساني.

## ثانياً: مهمة التاريخ

ان مهمة التاريخ وهدفه تسجيل الاحداث على ارض الواقع بكل تفاصيلها وهذه الاحداث هي التي تكون التاريخ، أما الاحداث غير المدونة لا تشكل تاريخ، والتاريخ هو ليس فقط اخبار

الماضي وانما دراسة التجربة الانسانية او بعض جوانبها، وفهم طبيعة الحياة على الأرض، والحياة هي الطريق الذي يقطعه الانسان بهدف معين، وأن معرفة ما قطعه اجدادنا يرشدنا لقطع ما تبقى من طريق الحياة، وما سبق يرى البعض

ولولاه لا يوجد تاريخ، وهو

كل ما يقع على أرض الواقع من أعمال سببها الانسان بمساعدة عوامل اخرى يهدف من ورائها تحقيق غايات معينة، وفي بعض الاحيان لا يكون للانسان اثر في وقوع الاحداث التاريخية بل تكون الطبيعة هي المسبب والمتحكم فيها، ولكن تدوينها من قبل الانسان جعلها ضمن احداث التاريخ. وهناك عوامل للحدث التاريخي هي مكان وزمان معلومين وفاعل وهو الانسان:

١. المكان: هو المسرح الذي تدور فيه الاحداث عبر العصور التاريخية وهو لا بد ان يكون موقع معلوم على سطح الكرة الأرضية.

٢. الزمان: وهو الوقت الذي تحدث فيه الحادثة التاريخية التي يجب ان يكون لها زمان او وقت معلوم في تسلسل الاحداث عبر الزمن وبدون ذلك لا يمكن عدها حادثة تاريخية حقيقية اذ ربما تدخل في اطار الخرافة او الاسطورة او العموميات التي يبحث فيها الفلاسفة من اجل استنباط قوانين او رؤى عامة تحكم مسيرة التاريخ البشري دون الالتفات الى شروط الحادثة التاريخية.

٣. الانسان: وهو الفاعل والناقل او العامل الاساسي في وقوع الاحداث وتسييرها ولا يعدو الحدث التاريخي المدون عن كونه تسجيل لمسيرة الانسان على الأرض ولا تاريخ دون ذلك.